# التَّفكير في الرّؤية القرآنيّة
## الاستقامة مشروطةٌ بالتّقوى

العلّامة السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ قدس سره

**«إنّما اشترط القرآنُ الكريم التّقوى؛ في التّفكّر، والتّذكّر، والتّعقّل، وقرنَ العلمَ بالعمل، للحصول على استقامة الفكر، وإصابة العلم، وخلوصه من شوائب الأوهام الحيوانيّة، والإلقاءات الشّيطانيّة».**

**مقتطفٌ من بحث للعلّامة السيّد محمّد حسين الطّباطبائي قدس سره في الجزء الخامس من تفسير (الميزان) بعنوان: «كلامٌ في طريق التّفكّر الذي يهدي إليه القرآن».**

ممّا لا نرتابُ فيه أنّ الحياةَ الإنسانيّة حياةٌ فكريّة، لا تتمُّ إلّا بالإدراك الذي نسمّيه فكراً، وكان من لوازم ابتناءِ الحياة على الفكر، أنّ الفكرَ كلّما كان أصحّ وأتمّ كانت الحياة أقوَم، فالحياةُ القيّمة -بأيِّ سُنّة من السُّنَن أخذَ الإنسان، وفي أيِّ طريقٍ من الطُّرق المَسلوكة وغير المَسلوكة سَلَك الإنسانُ- ترتبط بالفكر القيّم وتَبتني عليه، وبقدر حظِّها منه يكون حظُّها من الاستقامة.

وقد ذَكَر اللهُ سبحانه [ذلك] في كتابه العزيز بطُرُقٍ مختلفةٍ وأساليب متنوّعة كقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا .. ﴾ الأنعام:١٢٢، وقوله: ﴿..هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ .. ﴾ الزمر:٩، وقوله: ﴿..يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ .. ﴾ المجادلة:١١، وقوله: ﴿..فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ الزمر:١٧-١٨، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

### دعوةُ القرآن الكريم إلى الفِكر الصَّحيح

دعوةُ القرآن الكريم إلى الفكر الصَّحيح وترويجِ طريق العلم ممّا لا رَيْب فيه. والقرآنُ الكريم مع ذلك يَذكُر أنّ ما يهدي إليه [هو] طريقٌ من الطُّرق الفكريّة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ..﴾ الإسراء:٩، أي الملّة، أو السُّنّة، أو الطّريقة التي هي أقوَم، وعلى أيّ حالٍ هي صراطٌ حيويٌّ، كَونه أقوم، يتوقّف على كون طريق الفكر فيه أقوَم، وقال تعالى: ﴿..قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ المائدة:١٥-١٦، والصِّراطُ المستقيم هو الطَّريق البيِّن الذي لا اختلافَ فيه ولا تخلُّف، أي لا يُناقض الحقَّ المطلوب، ولا يناقضُ بعضُ أجزائه بعضاً.

ولم يُعيِّن [المولى سبحانه] في الكتاب العزيز هذا الفكر الصَّحيح القيِّم الذي يَندبُ إليه، إلّا أنّه أحالَ فيه إلى ما يَعرفه النَّاسُ بحسب عقولهم الفطرّية وإدراكِهم المركوز في نفوسِهم، وإنّك لو تتبَّعْتَ الكتاب الإلهيّ، ثمّ تدبّرت في آياته [لـ] وجدْتَ ما لعلّه يزيد على ثلاثمائة آية تتضمّن دعوة النّاس إلى التّفكّر، أو التّذكّر، أو التّعقّل، أو تُلقّن النّبيّ صلى الله عليه وآله الحجّةَ لإثبات حقٍّ أو لإبطالِ باطل، كقوله: ﴿..قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ .. ﴾ المائدة:١٧، أو تحكي الحجّةَ عن أنبيائه وأوليائه، كَنوح، وإبراهيم، وموسى، وسائر الأنبياء العظام، ولقمان، ومؤمن آل فرعون، وغيرهما عليهم السلام، كقوله: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ..﴾ إبراهيم:١٠ "..".

ولم يَأمر اللهُ تعالى عبادَه في كتابه ولا في آيةٍ واحدةٍ، أن يؤمنوا به أو بشيءٍ ممّا هو من عنده أو يَسلكوا سبيلاً على العمياء وهم لا يَشعرون، حتّى أنّه علّل الشّرائع والأحكام التي جعلَها لهم -ممّا لا سبيلَ للعقل إلّا تفاصيلُ ملاكاته- بأمورٍ تجري

مجرى الاحتجاجات، كقوله: ﴿..إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ..﴾ العنكبوت:٤٥، وقوله: ﴿..كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة:١٨٣، وقوله في آية الوضوء: ﴿..مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ المائدة:٦، إلى غير ذلك من الآيات.

وهذا الإدراكُ العقليّ -أعني طريق الفكر الصّحيح الذي يُحيل إليه القرآنُ الكريم، ويَبني على تصديقه ما يدعو إليه من حقٍّ، أو خيرٍ، أو نفعٍ، ويزجرُ عنه من باطلٍ، أو شرٍّ، أو ضرٍّ- إنّما هو الذي نعرفُه بالخلقة والفطرة ممّا لا يَتغيّر، ولا يَتبدّل، ولا يَتنازع فيه إنسانٌ وإنسان، ولا يختلف فيه اثنان، وإنْ فُرِض فيه اختلافٌ أو تنازُعٌ، فإنّما هو من قبيل المشاجرة في البديهيّات، ينتهي إلى [سببُه] عدم تصوّرِ أحدِ المتشاجرَين -أو كليهما- حقَّ المعنى المتشاجَر فيه لعدم التّفاهم الصّحيح.

وأمّا أنّ هذا الطّريق الذي نعرفُه بحسب فطرتنا الإنسانيّة، ما هو؟ فَلَئِنْ شكَكْنا في شيءٍ لسنا نشكّ أنّ هناك حقائق خارجيّة، واقعيّة، مستقلّة منفكّة عن أعمالنا، كمسائل المبدأ والمعاد، ومسائل أخرى رياضيّة، أو طبيعيّة، ونحو ما إذا أردنا أن نحصلَ عليها حصولاً يقينيّاً، استرَحنا في ذلك إلى قضايا أوّلية بديهيّة غير قابلة للشكّ، وأخرى تلزمُها لزوماً كذلك، ونرتّبها ترتيباً فكريّاً خاصّاً نستنتجُ منها ما نطلبُه [من قبيل: أ = ب. ب = ج. نستنتج منهما: أ = ج. هذا ونظائرُه المقصود بقول العلّامة الطّباطبائي: «قضايا أوّليّة بديهيّة»] «..»

## حركةُ العقلِ في القرآن الكريم

القرآنُ الكريم يَهدي العقول إلى استعمالِ ما فُطرت على استعمالِه، وسلوكِ ما تَألفُه وتعرفُه بحسب طَبْعها، وهو ترتيبُ المعلومات لاستنتاج المجهولات.

والذي فُطِرت العقولُ عليه هو أن تستعملَ مقدّماتٍ حقيقيّةً يقينيّةً لاستنتاج المعلومات التّصديقيّة الواقعيّة، وهو البرهان. وأن تستعمل في ما له تعلّقٌ بالعمل؛ من سعادةٍ وشقاوةٍ، وخيرٍ وشرٍّ، ونفعٍ وضررٍ، وما ينبغي أن يُختار ويؤثَر وما لا ينبغي، وهي الأمور الاعتباريّة، المقدّماتِ المشهورة أو المسلّمة، وهو الجَدَل. وأن تستعمل في موارد الخير والشرّ المظنونَين مقدّماتٍ ظنّيّة لإنتاج الإرشاد والهداية إلى خيرٍ مظنون، أو الرّدع عن شرٍّ مظنون، وهي العِظَة. قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ..﴾ النحل:١٢٥. والظّاهر أنّ المُراد بالحكمة هو البُرهان، كما تُرشد إلى ذلك مقابلتُه الموعظة الحَسنة والجدال.

## شُبهة

**فإن قلتَ**: طريقُ التّفكُّر المنطقيّ ممّا يقوى عليه الكافرُ والمؤمن، ويتأتّى من الفاسق والمتّقي، فما معنى نَفْيه تعالى العلمَ المَرْضيّ والتّذكُّر الصّحيح عن غير أهل التقوى والاتّباع، كما في قوله تعالى: ﴿..وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ غافر:١٣، وقوله: ﴿..وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ الطلاق:٢، وقوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ النجم:٢٩-٣٠، والرّوايات النّاطقة بأنّ العلم النّافع لا يُنال إلّا بالعمل الصّالح، كثيرةٌ مستفيضة؟

**قلتُ**: اعتبارُ الكتاب والسُّنّة التّقوى في جانب العِلم ممّا لا رَيْب

> **اعتبارُ القرآن الكريم التّقوى في جانب العِلم إنّما هو لردِّ النّفس الإنسانيّة المُدركة إلى استقامتِها الفطريّة، بحيث تُصبح مؤهّلةً لتلقّي الحقائق، فَأسرى الشّهوات غافلون عن حقائق المعارف، ولا ينالون بجوارحِهم إلّا ما تنالُه الأنعام.**

فيه، غير أنّ ذلك ليس لجعل التّقوى -أو التّقوى الذي معه التّذكّر- طريقاً مستقلّاً لنيل الحقائق، وراءَ الطّريق الفكريّ الفطريّ الذي يتعاطاه الإنسانُ تعاطياً لا مخلص له منه، إذ لو كان الأمر على ذلك [لـ] لَغَتْ جميعُ الاحتجاجات الواردة في الكتاب على الكفّار والمشركين، وأهلِ الفِسق والفجور ممّن لا يَتّبعُ الحقّ، ولا يدري ما هو التّقوى والتّذكّر، فإنّهم لا سبيلَ لهم

على هذا الفرض إلى إدراك المطلوب وحالُهم هذا الحال، ومع فرض تبدُّلِ الحال يلغو الاحتجاج معهم. ونظيرُها ما ورد في السُّنَّة من الاحتجاج مع شتّى الفِرَق والطوائف الضّالّة.

بل اعتبارُ التّقوى [إنّما هو] لردِّ النّفس الإنسانيّة المدركة إلى استقامتِها الفطريّة «..» فالإنسانُ لا يتمُّ له معنى الإنسانيّة إلّا إذا عدّل قواه المختلفة [المتضادّة] تعديلاً يُوردُ كلّاً منها الطّريق الوسَط المشروعَ لها، وملَكَةُ الاعتدال في كلّ واحدةٍ من القوى هي التي نسمّيها بخلُقِها الفاضل؛ كالحكمة، والشّجاعة، والعفّة وغيرها [للتّوضيح: الشّجاعة هي الخُلقُ الفاضل، والطّريقُ الوسطُ المطلوب، بين قوّتين متضادّتَين مودعتَين في نفس الإنسان، هما الجُبنُ والتّهوّر] ويجمعُ الجميعَ العدالة «..» [وهذا ما] جَمَعَهُ الله تعالى في كلمةٍ، حيث قال: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ..﴾ لقمان:١٩، فإنّه كنايةٌ عن أَخْذِ وسط الاعتدال في مسير الحياة، وقال: ﴿..إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا..﴾ الأنفال:٢٩، وقال: ﴿..وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ البقرة:١٩٧، أي لأنكم أولو الألباب، تحتاجون في عمل لُبِّكم إلى التّقوى، والله أعلم. وقال تعالى: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ الشمس:٧-١٠، وقال: ﴿..وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ آل عمران:١٣٠.

ومن طريقٍ آخر، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا..﴾ مريم:٥٩-٦٠، فذكرَ سبحانه أنّ اتّباع الشهوات يَسوق إلى الغيّ، وقال تعالى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾ الأعراف:١٤٦. فذكَر تعالى أنّ أُسَراء القوى الغضبيّة ممنوعون من اتّباع الحقّ، مَسوقون إلى سبيل الغيّ، ثمّ ذكر أنّ ذلك بسببِ غفلتِهم عن الحقّ. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ الأعراف:١٧٩، فذكر أنّ هؤلاء الغافلين إنّما هم غافلون عن حقائق المعارف التي للإنسان، فقلوبهُم وأعينُهم وآذانُهم بمعزلٍ عن نَيْلِ ما ينالُه الإنسانُ السَّعيد في إنسانيّته، وإنّما ينالون بها ما تنالُه الأنعام، أو ما هو أضلُّ من الأنعام، وهي الأفكار التي إنّما تصوّرُها وتَميلُ إليها وتَألفُها البهائمُ السّائمة، والسّباعُ الضّارية.

فظَهَر من جميع ما تقدّم أنّ القرآن الكريم إنّما اشترط التّقوى في التّفكّر، والتّذكّر، والتّعقّل، وقرَنَ العلمَ بالعمل للحصول على استقامةِ الفكر، وإصابةِ العلم، وخُلوصِه من شوائب الأوهام الحيوانيّة، والإلقاءات الشّيطانيّة.

## طريقٌ فوقَ العقل

هنا حقيقةٌ قرآنيّة لا مجالَ لإنكارها، وهي أنّ دخول الإنسان إلى حيِّز الولاية الإلهيّة، وتقرّبَه إلى ساحة القُدْسِ والكبرياء، يفتح له باباً إلى ملكوت السّماوات والأرض، يشاهدُ منه ما خَفِيَ على غيره من آيات الله الكُبرى، وأنوار جبروتِه التي لا تُطفأ. قال الإمام الصّادق عليه السلام: «**لولا أنّ الشّياطين يحومون حولَ قلوب بني آدم لَرَأوا ملكوت السّماوات والأرض**». وفي ما رواه الجمهور عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: «**لولا تكثيرٌ في كلامكم وتمريجٌ في قلوبكم، لَرأيتُم ما أرى ولَسَمِعتُم ما أسمَع**». وقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ العنكبوت:٦٩. ويدلّ على ذلك ظاهرُ قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ الحجر:٩٩، حيث فرّع اليقين على العبادة، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ الأنعام:٧٥، فربَط تعالى وصفَ الإيقان بمشاهدة الملكوت. وقال تعالى: ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ﴾ التكاثر:٥-٧. وقال تعالى: ﴿..إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ المطفّفين:١٨-٢١.

ولا ينافي ثبوتُ هذه الحقيقة ما قدّمناه [من] أنّ القرآن الكريم يؤيّدُ طريق التّفكّر الفطريّ الذي فُطِرَ عليه الإنسان، وبُنيت عليه بنيةُ الحياة الانسانيّة، فإنّ هذا طريقٌ غير فكريّ، وموهبةٌ إلهيّةٌ يَختصُّ بها مَن يشاء من عباده، والعاقبةُ للمتّقين.

# موجز في التّفسير

## سورةُ فاطر

من دروس «المركز الإسلاميّ»

*** السُّورة الخامسة والثّلاثون في ترتيب سوَر المُصحف الشّريف، نزلتْ بعد سورة «الفرقان».**
*** آياتُها خمسٌ وأربعون، وهي مكّيّة، يُحفَظ قارئُها ليلَه ونهارَه، وفي الآخرة تُفتَح له ثلاثةٌ من أبواب الجنان.**
*** سُمِّيت بـ «فاطر»، لابتدائها بقوله عزّ وجلّ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ..﴾** فاطر:١، **وبـ «الملائكة» لافتتاحِها بالكلامِ على الملائكة الرُّسُل، أُولي الأجنحة المتعدّدة.**

رُوي عن عبد الله بن عبّاس قولُه: «ما كنتُ أدري ما معنى «فاطر» حتّى اختصمَ إليّ أعرابيان في بئر، فقالَ أحدُهما: أنا فطرتُها. أي ابتدَأْتُها».

### هدفُ السّورة

«**تفسير الميزان**» [بتصرّف]: هدفُ السّورة بيانُ الأصول الثّلاثة: وحدانيّتُه تعالى في ربوبيّتِه، ورسالةُ الرّسول، والمعادُ إليه تعالى، وتقريرُ الحجّة لذلك، وقد تمَّ ذلك بِعَدِّ جُمَلٍ من نِعَمِه العظيمة السّماويّة والأرضيّة، والإشارة إلى تدبيرِه تعالى المُتقِن لأمرِ العالم عامّة، والإنسان خاصّة. وقد تقدَّمَ هذا التّفصيلَ الإشارةُ الإجماليةُ إلى انحصارِ فَتْحِ الرّحمة وإمساكِها -وهو إفاضةُ النِّعمة والكفُّ عنها- فيه تعالى، بقوله عزّ وجلّ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ..﴾ فاطر:٢. وقدّمَ على ذلك الإشارة إلى وسائط هذه الرّحمة المفتوحة والنِّعَم الموهوبة، وهم الملائكةُ المتوسّطون بينه تعالى وبينَ خَلْقِه في حَمْلِ أنواعِ النِّعَم من عنده تعالى، وإيصالِها إلى خَلْقِه، فافتَتَحَ السّورةَ بِذكرِهم.

### ثوابُ تلاوتها

«**تفسير مجمع البيان**»: عن رسول الله ﷺ: «**مَن قرأَ سورةَ الملائكة، دَعَتْهُ يومَ القيامة ثلاثةُ أبوابٍ من الجنّة أنِ ادْخُل من أيِّ الأبوابِ شِئْتَ**».

«**ثواب الأعمال**»: عن الإمام الصادق عليه السلام: «**مَن قرأَ الحمدَين جميعاً: حَمْدَ سَبَأ، وَحَمْدَ فاطر، مَن قَرَأَهما في ليلةٍ واحدة لَم يَزَل في ليلتِه في حفظِ الله وكَلاءَته، ومَن قرأَهما في نهارِه لم يُصِبْهُ في نهارِه مكروه، وأُعطيَ من خيرِ الدّنيا وخيرِ الآخرة ما لم يَخطُر على قلبِه ولم يبلغ مُناه**».

### محتوى السّورة

«**تفسير الأمثل**» [بتصرّف]: سورةُ فاطر مكيّةُ النّزول، ولذلك يعكسُ محتواها العامّ الملامحَ العامّة للسُّوَر المكّيّة، كالحديث في المَبدأ، والمعاد، والتّوحيد، ودعوةِ الأنبياء، وذِكْرِ نِعَمِ الله عزّ وجلّ، ومصيرِ المجرمين يومَ الجزاء. ويُمكن تلخيصُ آيات هذه السّورة في خمسة أقسام:

**الأوّل**: يتحدّث حولَ آثار عَظَمة الله تعالى في عالَم الوجود، وأدلّة التوحيد.

**الثاني**: يبحث في ربوبيّة الله تعالى، وتدبيرِه لجميع أمور العالَم، وأمور الإنسان بالخصوص، ويتناول خالقيّتَه وأنّه عزّ وجلّ هو الرزّاق، ويبحث في خَلْقِ الإنسان من التّراب، ومراحلِ تكاملِه.

**الثالث**: يتحدّث عن المعاد ونتائج الأعمال في الآخرة، ورحمةِ الله الواسعة في الدّنيا، وسنّتِه الثّابتة في المستكبرين.

**الرابع**: يُشير إلى مسألة جهادِ الأنبياء المتواصلِ ضدَّ الأعداء المعاندين، ويُواسي الرّسول الأكرم ﷺ في هذا الجانب المتعلِّقِ بصراعِه مع المشركين.

**الخامس**: القسم الأخير من السّورة، يتعرّض للمواعظ والنصائح الإلهية في ما يخصُّ المواضيعَ المذكورة أعلاه، ويُعتَبر مكمّلاً لها.

### تفسيرُ آياتٍ منها

بعد ذِكر الآية الكريمة، نُورد ما رُوي من الحديث الشريف في تفسيرها، نقلاً عن (تفسير نور الثَّقَلَين) للمحدّث الشيخ عبد عليّ الحويزيّ رضوان الله عليه.

قولُه تعالى: ﴿..جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ..﴾ فاطر:١.

أميرُ المؤمنين عليه السلام: «إنّ لله تبارك وتعالى ملائكةً، لو أنّ ملكاً منهم هبطَ إلى الأرضِ ما وَسِعَتْهُ لِعِظَمِ خَلْقِه وَكَثْرَةِ أَجْنِحَتِه، ومنهم مَن لو كُلِّفَتِ الجنُّ والإنسُ أن يَصِفوه ما وَصفوه لبُعدِ ما بينَ مفاصلِه، وحُسنِ تركيبِ صورتِه، وكيف يُوصف مِن ملائكتِه مَن سبعمائة عامٍ ما بين منكبيه وشحمةِ أُذُنَيه، ومنهم مَن يسدُّ الأُفُقَ بجَناحٍ من أجنحتِه دونَ عِظَمِ بدنِه، ومنهم مَن السّماواتُ إلى حُجزَتِه، ومنهم مَن قدمُه على غير قرارٍ في جوِّ الهواء الأسفل، والأرضون إلى رُكْبَتِه، ومنهم مَن لو أُلقِيَ في نقرةِ إبهامِه جميعُ المياه لَوَسِعَتْها، ومنهم مَن لو أُلقيتِ السُّفُنُ في دموعِ عينيه لَجَرَتْ دهرَ الدّاهرين، فتبارك اللهُ أحسن الخالقين».

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا..﴾ فاطر:٦.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «قالَ اللهُ تبارك وتعالى لموسى عليه السلام: يا موسى، احفَظ وصيّتي لكَ بأربعة «..» والرّابعة: ما دمتَ لا ترى الشّيطانَ مَيتاً فلا تأمَنْ مكرَه».

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا..﴾ فاطر:٨.

* الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ اللهَ عَلِمَ أنّ الذّنبَ خيرٌ للمؤمنِ من العُجب، ولولا ذلك ما ابتُلِيَ مؤمنٌ بذَنبٍ أبداً».

** الإمام الكاظم عليه السلام: «العُجْبُ درجات، منها أن يُزيَّن للعبدِ سوءُ عملِه فيراه حَسَناً، فيُعجِبُه، ويحسَبُ أنّه يُحسِنُ صُنعاً».

قوله تعالى: ﴿..إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ..﴾ فاطر:١٠.

* الإمام الباقر عليه السلام: «قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: إنّ لكلِّ قولٍ مصداقاً من عملٍ يصدِّقُه أو يكذِّبُه، فإذا قالَ ابنُ آدم، وصدّقَ قولَه بعملِه، رُفِعَ قولُه بعملِه إلى الله، وإذا قالَ وخالفَ عملُه قولَه، رُدَّ قولُه على عملِه الخبيث، وَهُوِيَ به في النّار».

** الإمام الصادق عليه السلام: «مَن لم يَتولَّنا، لم يرفعِ اللهُ له عملاً».

قوله تعالى: ﴿..وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ..﴾ فاطر:١١.

الإمام الصادق عليه السلام: «ما نعلمُ شيئاً يزيدُ في العمر إلّا صلةُ الرَّحِم، حتّى أنّ الرّجلَ يكونُ أجلُه ثلاثَ سنين، فيكون وَصولاً للرَّحِمِ فيزيدُ اللهُ في عمرِه ثلاثين سنة، فيجعلُها ثلاثاً وثلاثين سنة، ويكون أجلُه ثلاثاً وثلاثين سنة، فيكون قاطعاً للرَّحِم، فيُنقصُه اللهُ عزّ وجلّ ثلاثين سنة، ويجعلُ أجلَه إلى ثلاثِ سنين».

قوله تعالى: ﴿..إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا..﴾ فاطر:٢٨.

* الإمام السجّاد عليه السلام: «وما العلمُ باللهِ والعملُ إلّا إلْفانِ مُؤْتَلِفان، فمَن عرفَ اللهَ خافَه، وحثَّه الخوفُ على العملِ بطاعةِ الله، وإنّ أربابَ العِلم وأتباعَهم، [هم] الذين عرفوا اللهَ فعملوا له ورغبوا إليه، وقد قال الله: ﴿..إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا..﴾».

** الإمام الصادق عليه السلام: «دليلُ الخَشيةِ التّعظيمُ لله، والتُمسُّكُ بخالصِ الطّاعة وأوامرِه، والخوفُ والحَذر، ودليلُهما العِلم، قال اللهُ تعالى: ﴿..إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا..﴾».

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ فاطر:٢٩.

* رسول الله صلى الله عليه وآله: «قلبُ الرَّجُل مع مالِه، إنْ قدَّمَه أحبَّ أن يلحقَ به، وإنْ أخّرَه أحبَّ أن يتأخّرَ معه».

** الإمام الصادق عليه السلام: «إنّما أعطاكم اللهُ هذه الفضولَ من الأموالِ لِتُوَجِّهوها حيث وجَّهَها اللهُ عزّ وجلّ، ولم يُعطِكُموها لِتُكثِّروها».

قوله تعالى: ﴿..وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ..﴾ فاطر:٣٠.

رسول الله صلى الله عليه وآله: «هو الشّفاعةُ لِمَن وَجَبَتْ له النّارُ مِمَّن صنعَ إليه معروفاً في الدّنيا».

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ..﴾ فاطر:٣٢.

* الإمام الباقر عليه السلام: «السّابقُ بالخَيرات الإمام، والمُقتَصدُ العارفُ للإمام، والظّالمُ لنفسِه الذي لا يعرفُ الإمام».

** الإمام الصادق عليه السلام: «الظّالمُ يحومُ حَوْمَ نَفْسِه، والمُقتَصد يحومُ حَوْمَ قلبِه، والسّابقُ بالخَيرات يحومُ حَوْمَ ربّه عزّ وجلّ».

قوله تعالى: ﴿..أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ..﴾ فاطر:٣٧.

أمير المؤمنين عليه السلام: «العمرُ الذي أعذرَ اللهُ فيه إلى ابنِ آدم ستّون سنة».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا..﴾ فاطر:٤١.

* الإمام الصادق عليه السلام: «لو بَقِيَتِ الأرضُ بغيرِ إمامٍ ساعة، لَسَاخَتْ».

** الإمام الرضا عليه السلام: «بنا يُمسِكُ اللهُ السّماوات والأرضَ أن تزولا».